

العشق الذي يهيم له الإنسان على
وجهه أو يموت كدأ على فراشه
فتجاسرت على مستر هولز
بمازحا وقلت : إنني رجل متزوج
ولكنك يا مستر هولز رجل أعزب
فهل ... ؟

فقال هولز وقد أبرقت عيناه
بريقاً عجيباً : ليس الحب من طبيعتي . الشفقة نعم .
الرحمة نعم . حب الإنسانية أي نعم . أما الحب الذي
تلعب إليه فلا ، ثم لا ، ثم لا ، لأنه قرين بادخال الضيم
على المروءة واستشمار الدلة لمن أطاف بالمشيقة
كأهلها وذويها

فقلت : ولكن المناقب التي ذكرتها كالرحمة
والرفقة تنسحب كلها من أصل الحب .

فقال : صحيح ، ولكن ... ثم تناول جريدة
النيمس وناولني إياها ، وقد أشار بعلامة على نبذة
قصيرة هذا نصها : « وقد اشتغل مستر هولز
في تحقيق هذه القضية فأعرب فيها على عادته وافترض
فيها افتراضاً بعيد الموافقة للواقع ، فقوت على رجال
البوليس الرسميين فرصة القبض على المتهمين الذين
لا شك قد اتخذوا سبيلهم في البحر هجياً ، فاستقلوا
باخرة كبرى تمخر الآن عباب المحيط في طريقها
إلى نيويورك ، ولا يزال مستر هولز يمزج أخيلته
بأفلاظه البطيئة ودخان شبقه في إحدى الغرف
الموطأة في مسكنه الماصر ببيكر ستريت » . ففاظتنني
هذه النبذة السخمة وقلت :

— لا تبتئس يا مستر هولز ولا تحزن ، فإن
الدنيا لا تخلو من حاسد باغ ، ومن قاتل متكلف ،
ومن سامع طاعن ، ومن منافس مقصر

مَصْرَعُ الْبَخِيلِكِ

للكاتب الإنجليزي سير آرثر كونان دويل
يَقْتَلُمُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدَ لَطْفِي جَمْعُهُ

روى دكتور وطن مسجل أخبار شروك
هولز ومغامراته قال :

في هذه الليلة من أخريات الليالي في شهر ديسمبر
سنة - ١٩ كان هولز منشراح الصدر قرير الدين ،
كمادته كلما عيد البلاد . كان لا يحب الديكة
الحنيذة ولا يميل إلى حلوى البودنج ، وهما اللوان
الذان شغف بهما كل أنجليزي تحت السماء ، ولكنه
كان شديد الاكتراث بأعداد وجبة العيد ، ويكثر
من الاستعداد لمشاء أمسية عيد البلاد ، ويحتفي
بها ويحتفل أيعما احتفاء واحتفال . فكانت مسرتير
منهمكة في تسوية الديك ، وتدخين فخذ الخنزير ،
وخلط الأفاويه والابزار مع الزبيب والبندق والجوز
واللوز ... وكان هولز يفرك يديه ، ويدخن غليون
الأبدى . وكان دأبه أن يبدأ الحديث بنفسه ، ولا
يبيح لأحد أن يبيته أثناء صحته . فقال :

— أظنك بعد قرانك السميد الذي كان ثمرة
للماصرة الكثر الدفين لم تشغل نفسك بالحب ... ؟
فابتسمت وقلت : الحب ... ؟ لا أظن ... أريد
حب الزوجة يا مستر هولز ؟

فضحك وقال : أقصد إلى الهوى الذي يتفرع
منه للعشق ، الذي يصفه ما كس يمبرون في قصصه
كما وصفته شارلوت برونته وجورج أليوت ...

فضحك حتى بانت نواجذه وتجت أسارير وجهه
وبدا لونه كالعاج وقال :

— كما أنها لا تخلو من ذى سلامة في المنطق
وصحة في النظر وصدق في اللغص، ومن رجل شديد
المحامة عن حقوق الضمفاء ، والمطالب بدماء القتلى
قليل للتسرع إلى أعراض اللماين . فلندع أبطال
سكوتلانديارد في غيهم . ولكن قل لي : هل لاحظت
أثناء زيارتك الأخيرة حديقة الحيوان كيف أن
منج طفل الثور يلا بدأ يثق صدره باحدى يديه
على طريقة يتبعها كل أبناء جنسه حين تشرف على
سن المراهقة ؟ فقلت له : نعم ...

قال : لقد بدأ دور الدق على الصدر منذ ثلاثة
أشهر ، أما الآن فهو يثق دقا منظما بكننا راحته
ونحن وانفون أنه اتبع غريزته وأصغى إلى صوت
ورائته ، فلم يعلمه أحد ولم يلقنه أحد من الانسان
أو الحيوان تلك الوسيلة التي تم عن مرافقته
واستكمال ذكوره . إن دق الصدر علامة على الاحتياج
بأنواعه ، عند بعض طوائف البشر وبعض فصائل
الحيوان ، هكذا فعلت أنثى الثور يلا مونيا وذكرها
موك . ولكن مونيا كانت أشد حذرا من موك ،
لأنها كانت تتق أن تؤذى نفسها ، فهي لا تنسى في
فورة الهيجان ضرورة الحرص على بدنها . والذكر
يلطم خديه لراحة مبسوطة بل بقبضة اليد مجتمعة .
أما موك ومونيا ومنج فقد اطمت وجناتها ودقت
صدورها براحة مبسوطة . وإن لذلك لصوتا رهيبا
في الحديقة ، فما بالك به وسط الغاب في هدوء
الضحى أو سكون الليل

وكنت على شدة إعجابي بحديث هولز في كل
وقت وانشرخ خاطري بهدوء باله ، قد بدأت

أمل حديث المفردة ، وملاحظة لطمها ودقها صدرها
ونعيبها واغتلماها حتى كدت أقاطعه ... فلم أتمكن
من ذلك قبل أن قال : ألا تعلم أن جاكلين رضية
للشعيازي تنشأ الآن ومنج في قفص واحد .
فسوف نرى ما تكسب منه غدا ...
في تلك اللحظة أنقذت مسز تيرز موقفي
بدخولها وقالت :

إن سيدا بالباب يطلب لقاء مستر هولز
فقط هولز جبينه وقال : في عيد الميلاد ،
عند سماع الأجراس المذبة ، أجراس العيد ، طارق
يريد لقائي ؟

فقلت مسز تيرز وكانت روح الدعابة قد اخترمتها
بمد طول الماشرة والعيشة في حاشية هولز المرح :
— في الحق وبالصدق ، إنه يشبه سائنا كلوز ،
فلعله يحمل إليك هدية ... ولكن شيئا واحدا
يزعجني بشأنه ، أحب أن ألفت إليه نظر السيدين
(تقصد إلى هولز وإلى) إنه لا ينفك يثق صدره
بقبضة يده ، ويلطم خده براحة كفه على طريقة
مدهشة ، لم يسبق أن رأيتها لأحد من الناس .
ربما بعض الزوج في معرض كوفنت جاردن
أو كريستال بلاس . أما للناس ...

فدهشت وتقضت غزلي وغضضت بصري ولم
أجرؤ أن أحقق في وجه ذلك الرجل المعجب الذي
يكاد يطلع على الغيب ، ولكنني لم أشأ أن أنجاه
بسؤال لأشقى غليل استطلاعي ... بيد أنه أذن
للرجل أن يدخل علينا ، ليري ما شأنه ، فاستأذن على
خلوتنا رجل ملتف اللحية كت المارضين ، متخلع
الأسنان ، منضن الوجه . وجلس في المكان
الذي أشار إليه هولز ، وما لبث الرجل أن

ومنذ أسبوعين غادر ابني بيت الأميرة إلى قرية
ديرهام ليجمع مالا من ثمار ضيعة لنا فيها أثمار
الشليك التي تطبخ وتجعل مربى في أعقاب من
الزجاج . وكانت آخر مرة روى فيها ، وهو في سيارة
مأجورة تقلته من محطة ديكورثي جنكسن في طريقه
إلى تلك القرية . ثم لم نقف له على أثر
فهمهم هولمز : اختفاء غريب حقاً ! فهل أبلغت
خبر اختفائه للشرطة ؟

فقال الهندي : أنا جوهر شاه لال أشهد أنني
لم أر قط شرطة أغرب وأعجب من شرطة هذه
البلاد . فساعتهم بيوم ويومهم بشهر وشهرهم بعام .
وإن روح الدابة فيهم لأقوى من موهبة الدكاء .
والسخرية من المنكوبين أمثالي أنكي من عاطفة
الواجب . وقد أصبح أداء الأعمال لديهم نوعاً من
حركة الآلات التي لا تشمر ولا تحس

فقال هولمز باسم : على رسلك أيها الرجل الموتور
إنك لا تزال من دعاة التاج والطاعة عليك واجبة
في حق الساطة التنفيذية ، التي لولا قوتها ما استطعت
أن تمش في هذه البلاد آمناً في سربك مطمئناً على
مالك وحياتك

فقال الهندي : أي أمن هذا ؟ كان أهون عليّ
أن أموت وأدفن أو أحرق بديلاً من ولدي الوحيد .
لقد قلت هذا القول نفسه للمفتش جريفيث ، فلم يهتز
ولم يثر . ولما ذكرت له اسمك بعد بأسى من ممونته
وامتناعه من طرائق عمله قال لي : عليك به . عليك
بمستر هولمز إنه خير من يجلو غموض هذه القضية
ويحل عقدها . وليس لك عمل عندنا ، فقد استنفدنا
وسائل البحث حتى البركة الآسنة نرحنا ماءها ،
والقصر العتيق قلبناه رأساً على عقب وكدنا نهدم

رفع حاجبيه الغزيرين فانطويا على جبين تكاثرت
فصوصه حتى لكأنها أسطر قاعة في صفحة
من سحر القدماء ، ثم أخذ يلمت ويقطع الألفاظ
ويسرد حديثاً لم تستبين معانيه لغموض تراكييه
فقال له هولمز : هوّن عليك أيها الشيخ وحاول
استرداد هدوئك ما أمكنك ، فلا تحل قضية بمجلة
وإني ألع فيك الرجل الحليم والشيخ الركين .
فأهذا الحزن الذي تقلك إلى طبع الصياد والنساء
وإلى أفعال المجانين ، تكاد بمدق صدرك ولطم
خديك تشق جييك وتنفض جيوئك وتبكي كما يبكي
الحدث الفرير وتندب كالنوائح

فقال الرجل : ولدي ! ولدي الوحيد أيها الرجل
المنقذ ، زين الشباب لم تقع العين على أحسن منه وأعقل
فقال هولمز : إنك بلاريب من مقاطعة كشمير
فد أي عهد استوطنت هذه البلاد ؟

قال الرجل : انني نزحت من الهند منذ ثلاثين
عاماً وكان ابني رضيعاً ، فما وترهض تحت سمائمكم
وأثرى لحسابه غير قانع بما ربح من مال ، ولم يكن
سفيناً ولا مبذراً ، وكان مقتصداً لا أنكر ذلك ،
حتى أنه لو طلب إليه مال ولو في مصلحة واجبة
الأداء كدفع الضريبة أو سداد دين مستحق تربد
وجهه وطار الغضب في دماغه ، فيمنع ويمص ويأبى .
ولي أخت فقيرة معسرة ، تيمتت بولديها ، لأنها ترميت
ولم يطب لها الميش في ظلال الفاقة ، وأحد ولديها
وهو يصغر ابني نشأ في فقر مدقع فشغل عن
التعليم بالجوع ، وطمع في مالتان خاصصة ، فكنا نبره
ونرفده حيناً ونمنه وبحرمة أحياناً . وكان عطائي إياه
أكثر ما يحق ابني شاهين لال . ولم يزل معذباً
أياماً حتى ينسى المال القليل الذي فرجت به كرب
ابن عمته

مقصراً . فسأل هولز إنك تحمل ميزان رصيدك في أحد جيوبك . أمتلك نصف مليون يامسترلال ؟ فتشهد الهندي وتلفت وقال : قد يكون هذا الرقم قريباً من الحقيقة

فقال هولز : فإذا مت من غير عقب ؟ فانتفض الرجل وقال : حاشا لكالي وفشنو وكريشنا أن تصح كهاتك . قال هولز : لا عليك ؛ فلا تتطير من سؤالى ، بل أجبنى ! إن مت من غير عقب ، فمن يرث مالك ؟

فبكى الرجل حتى بلل لحيته وقال : ترثنى تلك اللمينة للموراء أختى شاه جيهان كريبو فقال هولز : ولا أحد سواها

فقال الرجل : زوجتى تحرم وتحرق وتكب على مناخرها في النار ولائثال روية واحدة . فقال هولز : تفضل بادكتور رطسن وناولنى هذا المجلد الأحمر البالى على الرف الثالث في الصوان الخامس من اليسار وهو باسفل الطبوعة التاسعة من دائرة المعارف ج ٢٤ حرف ميم ونون . فلما ناولته المجلد المهود فتحه وقرأ بهض نصوصه وقال :

أبة شريفة للمواريث هذه ؟ تكلم يا وطنى ، إن للمرأة في الشرق مكانة سامية وإن كانت تحرق بعد وفاة بعلها ، فهلاكها قرين ترملها . وبما يدل على تعظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالآلهة التي لا شيء أعظم منها ، وبالشئ إلى أقدس لهاكل ، وبصدقة ماله فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه ، فإن استحلف بالطلاق يفض ، ويرفض ، وإن كان المحلف قاضياً جليلاً أو أميراً مهيباً أو حاكماً مطلقاً ، ولم يكن الرجل بحبها ، وكانت نفسها قبيحة النظر قليلة النسب . ولكن هذه

جدرانه ، ثم أعرض عني . وما هالنى إلا نبذة قارصة قرأتها في جريدة هذا النهار ، تسلفك بالسنة حداد فهرولت إليك

فقال هولز : وهذا أيضاً لا يبرر نذك ، فقد أسدى هؤلاء الرجال الأفاضل للمدل خدمات لا تنسى ولا تقدر . ولكن أسى الرماة وأخذتهم وأصوبهم قد يخطئ الهدف مرة أو مرتين فلا تكون خيبته سيئاً في نسيان إصابته مرات . أنت تتعجر في السجاد واللؤلؤ والأقاويه ؟

— نعم . من قال لك ذلك ؟

— لا تجمل لهذه اللظنون شأنًا

— ولكنك حقائق لا ظنون فقد ورثت

تجارة السجاد الفارسي عن والدى . وهويت تجارة اللؤلؤ هواية عشقتها تقليداً لصدى صاحب هارنهرور ؛ أما الأقاويه فيبعت بها إلى واحد من ذوى القربى يقيم منذ ثلاثين عاماً في بطاوى عاصمة جاوه . فقلت للمسترجع إنك تغني هذا الموقف وتحماني على هذا المركب ثم تخذلى هذا الخذلان وتتشبى مثل هذا الدل ، ولو حيرة الخوف من العقاب . إننى أنزل عن نصف مالى بل كله لو أنك رددت إلى ولدى فقال لى المقتش : أمثروى في رشوة أبها الأجنبي ؟ فقلت : لست وحقك أجنبياً ولا غريباً .

فقال هولز : دعنا من حديث هذا المقتش جريفت لأنه من أصدقائى الأئمة وبؤانى أن تسمى بيتنا ، فطالما أسدى إلى خدمة جلى . وقل لى ما مقدار تلك الثروة التي نتيه بها وتبذلها لنجاة وفدك ، فصمت الرجل وتهد وتلفت يمينا وشمالاً كمادة أهل الشرق في الحذر ونظر إلى نظرة مريبة . ثم قال : إن ثلث مائة ألف جنيه أكون كاذباً ، أو مائتين أكون

قال هولز : وهل يزور تلك للضيعة التي تؤتي
أكلها من الأثمار ، أو له بها سكن ؟

قال الهندي : كان يختلف إليها إذ كان وولدي
صبيين يلهمان معاً ويلعبان بالأكر والصوايح . وفرق
بينهما الفقر . وقد حاول استدراج ولدي ، وقد عثرت
مرة على ورقة مكتوبة بالهندستاني فيها هذه
الكلمات : « ابن خالي العزيز ، لقد تأملت شأن الدنيا
فوجدت أكبر نعيمها وأكل لذاتها ظفر المحب وبجيبه
الماشق بطليبه ووجدت شقوة الطالب المكدي
وغمه ، في وزن سمادة الطالب الناجح وسروره ،
ووجدت المشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكف
فإن موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك
أبهج .

ووجدتك قد ضربت بالمشق عرض الحائط
فكنت البخل من نفسك . وعشقت الرزق وجمع
المال ، حتى أبغضت كل شيء . وليس المال بامرأة
ولا يمشق إلا النساء ، ورأيت حبهن من أكبر أسباب
اجتماع الخير . وما أنت ذا قد امتنعت جمع المال ثلاثين
عاماً ، فهلا جربت حب النساء شهراً واحداً ؟ »

وقد لاحظ هولز غرابة هذا الخطاب ، فعبس
ثم ابتسم وقال أخيراً للهندي :

— وأين ابن أختك الآن ؟ وهل شغلته السمودة
أو السحر يوماً ؟

وإننا لكذلك وإذا بالهندي التهدم يقفز من
مقعده ويدق على صدره بيديه كمن مسه الجن . ثم
أخذ يعول وينوح ويقول :

— أتؤمن بالسحر يا مستر هولز ؟ أتؤمن
بالأحلام التي يراها النائم فيما يري ؟
فحاولت أن أبادل هولز النظرات ، ولكنه لم

المرأة المسكينة تفقد وجودها وكرامتها يوم يموت
ملها ويبقى بها من حائق ، وعلى ذكر النساء يا وطن
أتعلم أنني فكرت كثيراً في الأخوات الثلاث من
أسرة برونطه شارلوت وإميلي وآن^(١) ولست أدري
إلى الآن أيهن أذكر وأقسي قلباً وأكثر تحملاً
للآلام ، فظهرت علائم اللقلق على الهندي وتعلم
في مقعده ، ولكن هولز لم ياتفت إليه ولمله كان
مكتفياً بدرسه عن كتب . ثم قال لي :

— أتعلم أن في قصة (جان بار) التي دمجتها
براعة شارلوت — حديث المرأة التي تصدق أحلامها ،
فاذا رأت فيما يري للنائم شيئاً ، فلا بد أن يقع على
الحالة التي رآها ، كأنها تطلع على الغيب ؟ وتعلم
سلفاً حوادث الأيام ، فلو كانت هذه الرائية على قيد
الحياة لكشفت لنا اللقناع عن كثير من الجرائم . .
فابتسمت وقالت : لملك تأثرت يا مستر هولز
بأعمال تلك الجمعية التي يبحث أعضاؤها الملء في
أسرار الروح والنفس على طريقة تثير الخواطر .

فقال هولز : إن عقلي كالخزانة المفتوحة تتأق
كل ما تستودعه من الصور والآراء . ثم حول
وجهه فجاء نحو الهندي وقال له : وابن أختك هذا
البائس المنبوذ أما زال ؟

قال الهندي : نعم ما زال مدقماً محروماً منحوس
الحظ ممنوعاً

قال هولز : أراه يمشق فتاة من بنات جنسه
أو خريفة أخرى من الجنس الأبيض ؟

قال الهندي : إنه متهتك في حب النساء من
سائر الأجناس يمشقهن ويتدله في هواهن ، بقدر
ما يفيضه الرزق .

(١) حنة أو حنيئة

فانفجرت أسارير هولز، وكأنه أفاق من غشية
ثم استدرك قائلاً :

— هذه أضغاث أحلام . إذا أنتك الرؤى نبياً
فتبينه قبل أن تتم شخصاً قد يكون بريئاً
فقال الهندي : الأمر لك يا مستر هولز ...
ولكن هل نخدعنا الأرواح إلى هذا الحد ؟

فقال هولز : لا رأي لي في هذا . وإن كانت
روح والد هلميت لم تخدعه قط ... وضحك ... عليك
الآن أن تذهب إلى عمك ودارك وأن نوافيني في
الساعة الرابعة بعد الظهر في عطة باسكريفيل ،
لنداني على المكان الذي أقيت فيه ابن أختك

فقال الهندي : مستر هولز ... مستر هولز
نسيت شيئاً . لقد أعرضت في أول الأمر عن محادثة
ذلك الولد ابن أختي الموراء المتزلة ، قائلاً بيني
وبين نفسي : أبقى للطلح ويذهب المصالح ؟ ما نفع
هذا الوغد في الحياة وهو جاهل متعطل ؟ ولكنه أقبل
على ... وكان أصفر الوجه متمتعاً وقال لي وهو
يتلجلج : هل استجد شيء في الحادث ؟

فقلت : أي حادث ؟

قال : استخفاء ابن خالي

فقلت له : وهل يهيك أمره ؟

قال : كيف لا ، أليس بيننا دم القرابة يجري
في عروقنا معاً ؟

فأخرجت من جيبى هذا الخطاب الذي تلوت
ترجمته على مسامعك وقلت له :

— لو كنت تحبه حقاً ما عرضته على الفسق ،
وزيئت له ملاهي الشيطان . فبكي وتوارى عنى دون
أية تحية

فتناول هولز الخطاب الهندي ونهض بودع

يعبأ بي وركز عينيه اللامعتين في وجه الرجل ، ثم
قال ببطء :

— السحر ... لا . أما الأحلام فندم . ولكن
مادخل حديث السحر والرؤى في استخفاء ولدك ؟
فقال الهندي : اسمع يا مستر هولز ... إنك
رجل عجيب . الآن فقط تذكرت ، ويرجع الفضل
إليك فيما ذكرته

فقال هولز : وكيف ذلك ؟

— لقد رأيت أمس في الحلم ولدي يختال في
ثياب جديدة من حرير الشرق وعلى رأسه عمامة ،
أى نعم عمامة ، وفي قدميه حذاء أصفر تمود أن
ينتمله ؟ وكان صبوح الوجه مشرقه . فلما دنوت
منه لأقبله ، لأننى في الرؤيا كنت عالماً أنه مستخف
وأنتى أبحث عنه وأخشى عليه الخطر ، فأعرض
عنى وقال :

— كيف تتركنى هكذا ؟ أنهدر دى ؟ ألا
تبحث عنى ؟ ألا تبذل جهودك ؟ . فبكيت ، فقال لي :
ألا تعرف قاتلي ؟ ألا تعرف غريمك الذي اغتالني ؟
فقلت : لا . قل لي من هو ؟

فقال : هو الرجل الذي تلقاه عصر هذا النهار
هابطاً من مركبة الكهرباء في محطة باسكريفيل ...
ثم غاب شبح ولدي بالسرعة التي ظهر بها
فلم يبد على وجه هولز أى اهتمام ، ولكنه سأل
في هدوء :

— وهل صدقت هذا النذير وقصدت إلى
موعد اللقاء ؟ أجاب : نعم

هولز — فن رأيت ؟

الهندي — رأيت ... آه ... إلى أختنى ...
رأيت ابن أختي الموراء

فضحكت وقالت : لقد جاوزت السن التي أهتم فيها
بخطي ، وليس لي الآن محبوب أترقبه أو أخشى فراقه
فقال هولز : وكان مدهشاً في تقايد الهنود
عند ما يتكلمون الانجليزية : لا لا يا مسز نخطئين
إذا كان علم الكف يكشف عن الحب وحده فإنه دليل
الحياة والعقل والأمراض والنجاح وضده أثناء العمر
وما يصادف الانسان من السمود والنحوس ،
ويكشف عن الفضايا الكبرى وما يصيب الرء من
حسن الحظ

فناوات المرأة يدها لهولز فبدأ ينظر فيها بانعام
وعند ذلك تحرك للشخص الأسمر المنطوى على نفسه
وأخذ يصني بانتباه

فقال هولز : إن في جوارك أو في حاشيتك
أو على مقربة منك شخصاً يهمه الاتهام في قضية
قتل خطيرة

فنظرت المرأة وسحبت كفها من يد هولز
بلطف ، فقال لها :

لا تهتمى فإن هذا السر لا يضيرك ولا يسوؤك ،
إنه بعيد عنك . قد ترجين في حياتك القبله مبلغاً من
السال عن طريق الحظ الحسن . وقد تشتري عقاراً
في مقاطعة ديرهام

فقالت : يالك من منجم صادق . إنها مقاطعتي
وربى حيث ولدت وقضيت طفولتي وصباي في مغانيها .
ولا أزال أفكر في المودة إليها ...

من الخير أن تجلس أيتها السيد ، فسأحدد لك
موعداً للالتقى بحيث تسهب في التنبؤ لي . فعاد هولز
إلى مقعده

ولم يكد المقام يستقر بنا حتى نهض الشخص
الأسمر ودنا منا وحيانا بالهندية . ولشد ما كانت

الرجل ومادهادنا ، ثم تناول عدسته المكبرة وأخذ
بفحص الخطاب فحصاً دقيقاً

ثم قال لي : علينا الآن أن نهض لنخرج .
أعرف يا وطن مبادى الشيرومانسية ؟
قلت : أبداً

قال : لقد كان هذا الدجال تشير على نصيب
كبير من الفطنة ، فجاز شهرة ومالاً . هيا ولنلبس
ثياب الهنود وعمائمهم ولنتخذ مظهر المالمين بقراءة
الكف

وبعد ساعة كنا نجوس خلال الشوارع تحت
وابل من المطر . وقد تركنا الديك الرومى الحنيد
وللبودنج ونخذ الحلو المدهن تنمي من طبخها
وهياها . أى تنمي مسز تيرز التي رأتنا نترك مأدبة
عيد الميلاد في أزياء غريبة . ومازلنا نسير كأنه على
غير هدى — هكذا سهلاً في الواسع والضيق من
مسالك لندن وجاداتها حتى بلغنا شارع ويلسو ،
وهو الذى يربط كنجزواى بدورى لين ، ثم انحدرنا
نحو الشمال ومازلنا نسير حتى بلغنا أولد بلانيد
ستريت وهو من أظلم الطرق وأضيقتها وأقذرها
فوقف هولز متردداً ثم دفع باباً صغيراً فاندفع ودخلنا
في حانة شطاء ، فاستقبلتنا الساقية بابتسامة عريضة
وسألتنا إن كنا نشرب الجمعة دسمة ثقيلة ، أم نشربها
خفيفة شقراء ، فطلب هولز الأخيرة . ولحنا في أحد
أركان الحانة شاباً أسمر اللون منثبياً على نفسه كأنه
« كوبرا » غبراء تهضم للفريسة التي طوت عليها
أحشاءها . فشربتنا من الجمعة جرعة ، ثم نهض
هولز ودنا من الساقية ودفع لها ثمن المشروب
وقال لها :

— أتودين أن تمرقى حفظك بقراءة الكف ؟

فقال الهندي : والجثة ؟

فقال هولز : لا عليك منها . فأنا أتولى أمرها فأخرج الهندي من جيبه حزمة من الأوراق المالية وقال : هاك بعض النقود التي وجدناها في محفظته ، خذ منها ما تشاء أجراً على الخلاص من الجثة فتناول هولز النقود وقال له : هيا بنا .

ونهضنا . وخرجنا نضرب في سواد الليل ، حتى عثرنا على « هانسوب كاب » فآخذناها إلى أن وصلنا إلى المنزل الذي فيه الجثة في الصندوق ، فكلفه هولز بحمله ونقله ، ودعا المرأة إلى مصاحبتنا موهما إياها أنها ستقادر البلاد مع صديقتها وأنه سيتولى الخلاص من الجثة ، وآخذنا عربية من طراز فيكتوريا . حملتنا جميعاً ومعنا صندوق الجثة . وكان المطر قد ازداد أنهماهه ، حتى اضطررنا للانتجاع إلى قبو تحت سكة حديد لدجات هول ، وهو قبو مزدان بالقيشاني الأبيض اللامع ، حتى لكأنه ألواح من الجليد نشرت تحت الأرض على طول مائة ياردة طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

لقد كان موقفاً غريباً حقاً ثلاثة رجال وامرأة وجثة .

وكان الهندي الجاني مستسلماً لهولز الذي اعتبره منقذاً مخلصاً . أما الفتاة بولي فكانت من شر أنواع للنساء الانجليزيات قلباً وقالباً ، فلم يزد هولز على أن يعلم اسم والدها وموطن ميلادها

وقد قضينا هذه الليلة الغريبة أو المزعج الأخير منها تحت القبو ، حتى إذا كان مطلع الفجر أمر السائق بأن يسير قدماً إلى محطة باسكرفيل ، التي تجتمع بها قطار من الترام لا عدد لها مقبلة وذاهبة إلى سائر نواحيات العاصمة .

دهشتي عند ما أواجه هولز بالهندوستاني ، كأفضل مواطن نشأ في مقاطعة كشمير ولم أكن قبل اليوم أعلم أن هولز يجيد الهندية كأحد أبنائها وسرعان ما مد الشخص الأصغر كفه لهولز فأخذ ينظر فيها ثم قال له بالإنجليزية : حيث أننا جميعاً نجيد تلك اللغة ، فلنتكلم بها . ثم قال :

إنك ولدت في الهند حتماً وترحت عنها في سن صغيرة . وأنت يتيم الوالد ، وأمك الأرمل تعيش معك في هذه البلاد ، وهي شوهاء عوراء ، ولكنها تحبك وتخاص لك . لم يسمعك الحظ لافي المال ولا في طلب العلم ، وعندك هوى شديد للنساء . ماذا أرى ؟ كان لك قريب يدانك في السن وبفوقك في الذكاء والفني . وهو جد بخيل ولكنني لا أراه الآن ... لا أراه على قيد الحياة . وأرى امرأة بينكما تدفكك إلى اغتياله وهي امرأة أجنبية ، لا تهمها حياتك ولا حياته . إن الجثة ...

فبكي الهندي ، وأجهش في البكاء وقال : أنا أعلم أن الجثة تكاد تتمغن ، لولا تلك الحقنة التي أفرغتها بين الجلد واللحم . إن الآلهة تمذنبني

فقال هولز وهو ثابت الجأش كأنه صخرة لا تتحرك

لنترك للتنجيم جانباً ... إننا أبناء وطن واحد أين تلك الجثة ؟

فقال الهندي : في غرفة هنا في شارع كورنوال باديستون حيث تقطن المرأة بولي التي أعشقها . لقد خنقته بيدي وهي نحرس الباب . فلم تنزف منه نقطة دم واحدة . وقد وضعتنا معاً في صندوق كبير

فقال هولز : عليك الآن أن تغادر شواطئ هذه البلاد بأقرب فرصة

فقال له : الأولي لك الآن أن تلجأ إلى المفتش جريدين فقد طبخنا له الطبخة ، وما عليه إلا أن يأكلها . أما نحن فسنعود إلى مسر تيرنر لنشاركها في اللّهام الديك المحشو بالأرز اللباني والأفاويه الهندية والزبيب الأناضولي والسنوبر الشامي والاوز الاسباني والجوز التركي . فقد استحققنا هذه الأكلة التي تنتظرنا

فقال له اللقاتل : أيها الخائن الانجليزي قال هولمز وهو ينفخ في صفارته يستدعي الشرطة للقبض عليهما متلبسين :

— ان كنت خائناً ، فخير من أن أكون قاتلاً فأجهشت بولي بالبكاء ثم ضحكت وقالت لمحبتها الذي رمته في أعماق الحفر :

— ألم أقل لك إن النهار لن ينتهي بخير ؟ وأقبل الشرطي وتكاثر النظارة . وانفأنا إلى منزلنا في ٤٠ بيكر ستريت

محمد لطفي جمعة

وكان السهر والنعب وهم انتظار ما يأتي به الغد قد نالت مناجيما ، ما عدا هولمز الذي كان أنشط ما يكون « منجم هندي » ١ .

وقضينا وقتاً طويلاً في الطواف بشركات البواخر ، ليضمن الهندي وشريكته مرقدن في باخرة مبحرة إلى أمريكا أو إحدى المستعمرات . وكان هولمز هازلاً لا جاداً ، يقصد إلى تضييع الوقت أو فضيحة القاتلين . وكانت الفتاة الانجليزية بولي تقول بين حين وآخر : أرى أن هذا النهار لن ينتهي بخير أبداً .

فقال هولمز بالانجليزية مضمضة ليتقن تقاليد الهنود :

— ربما صحت الأحلام والنبوءات أيها السيدة وفي الساعة الثانية كان الجوع قد أخذ منا كل مأخذ ، فوقفنا في شارع وأرلو على مقربة من ميدان الطرف الآخر ، وإذا بالهندي يقول : « ضموا على رأسي لحافاً أو غطاء سميكاً ، فإن البرد شديد ولكن هولمز قال له : ليس البرد شديداً ولكن هذا خالك والد القتل قد أقبل . ثم أخرج من جيبه قيد الحديد ووضعه حول يديه وقال لي : تناول رفيقته برفق ولين فلك عادة معاملة السيدات . فأخرجت على كره قيداً آخر ووضمته حول يديها ونشط هولمز من عقاله ونادى بأعلى صوته « شاهين لال ناوردجي » فالتفت إلينا الرجل ثم جرى إلينا فلم يتعرف علينا لولأن قال له هولمز : ها هو ذا ولدك قتيلاً في الصندوق وغريمك وشريكته ، ووضع عمامته عن رأسه فأقبل الهندي التناكل يقبل يديه وقدميه .

أعذب مؤلفات
الاستاذ الشايب
كتاب
الاستاذ الصالح
مكتبة الرشد ، شارع الفلكي لا بالدر
مكتبات الصفاة الشهيرة